



معالم التوجه الإعلامي والصحفي في كتابات الجاحظ

Features of media and journalistic orientation in the writings of Al-Jahiz

دربالي وهيبة*
كلية الآداب واللغات

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة ، الجزائر
ص ب 166 اشبيليا، 28000، المسيلة
الجزائر

wahiba.derbali@univ-msila.dz

المعلومات المقال	المخلص:
تاريخ الإرسال: 2023/08/05 تاريخ القبول: 2023/10/02	نتناول في هذه الورقة البحثية إسهامات الجاحظ في مجال المقال الصحفي، وذلك بعرض مفاهيمه، وأهم آرائه التي تندرج في مجال البلاغة الصحفية، ولقد ظهرت معالم التحرير الصحفي في كتابات الجاحظ، وتوصل من خلالها إلى توظيف تقنيات كتابة اقترنت من أساليب التحرير الموظفة في المقال الصحفي بأسلوبه الحديث.
الكلمات المفتاحية: ✓ البلاغة ✓ الجاحظ ✓ الألب ✓ الصحافة ✓ الإعلام.	ركز الجاحظ في كتاباته الأدبية على موضوع التواصل، وربطه بعملية الفهم، وأولى عناية خاصة بالوظيفة التواصلية، وقدمها على بقية الوظائف الأدبية، وتمثل إبداع الجاحظ في ربطه الخطاب البلاغي بعناصر التواصل، واشتغل على عمليتي الفهم والإفهام وسوى بين المرسل والمرسل إليه، وهذا مايفسره عنوان كتابه البيان والتبيين، الذي جعله الجاحظ للجانب النظري للخطاب للتواصل البلاغي
Article info	Abstract :
Received 05/08/2023 Accepted 02/10/2023	The present paper discusses the contributions of Al-Jahiz in the field of journalistic writing by presenting his concepts and key opinions that fall within the realm of journalistic rhetoric. The traces of journalistic editing emerged in Al-Jahiz's writings, where he employed writing techniques that closely resembled those employed in journalistic articles with a modern touch. Al-Jahiz focused on the theme of communication in his literary works, connecting it to the process of understanding. He emphasized the communicative function and gave it special attention over other literary functions. Al-Jahiz's creativity lies in his ability to link rhetorical discourse with the elements of communication, working on the processes of comprehension and conveying he dedicated to the theoretical aspect of rhetorical communication.
✓ <u>Keyword:</u> ✓ Rhetoric ✓ Al-Jahiz ✓ Literature ✓ Journalism ✓ media.	

1. مقدمة :

كان للجاحظ إسهام كبير في مجال التنظير للاتصال، فركز الجاحظ على طريقة جمع الخبر وإيراده، وله كتابات أدبية متنوعة قريبة فيما عُرِفَ بالمقال الصحفي الحديث، وتوصل الجاحظ خصوصاً في كتبه ومنها: البيان والتبيين والحيوان إلى أدوات كتابة اقتربت من وسائل تحرير المقال الصحفي الحديث، وهذا الحديث قادنا إلى طرح الإشكالية الآتية، وهي الكشف عن تقنيات الكتابة الصحفية عند الجاحظ وبصيغة أخرى: كيف تجلت تقنيات المقال الصحفي في كتابات الجاحظ؟ وهل وجدت معالم للتنظير الصحفي عند الجاحظ؟ وماهي مظاهر البلاغة الصحفية عند الجاحظ؟.

نتناول في البحث كتابات الجاحظ، التي تتدرج فيما يُعرف اليوم بالكتابة الصحفية، وذلك بأخذ نماذج من أدبه ونكشف عن بلاغته الصحفية، وحسب فرضيتنا أن الجاحظ امتلك حاسة الصحفي، لكونه أديب اجتماعي بطبعه، وزيادة على فهمه العميق لعلوم اللغة والأدب والدين، وهدفنا هو الإشارة إلى سبق الأدباء العرب إلى مجال التحرير الصحفي قبل ظهور الصحافة الغربية الحديثة، واتبعنا في هذا المقال منهجية خاصة في عرض المادة العلمية حول التبليغ والتواصل عند الجاحظ وتحليلها .

2. مفهوم مصطلح المقال والتمييز بين أنواعه :

نتعرض لعرض مفهوم مصطلح المقال في اللغة والاصطلاح، ثم نميز بين أنواع المقال .

2.2 مفهوم مصطلح المقال :

ظهر مصطلح المقال حديثاً في الدراسات الأدبية والنقدية، وسنأتي على تعريفه اللغوي: أُتْعِرِفَ الْمَقَالُ لُغَةً: يُعْرَفُ فِي مَعَايِمِ اللُّغَةِ «الْمَقَالُ (ق.و.ل) و (ق.ي.ل) وَقَالَ يَقِيلُ الْقَوْلَ الْقِيلُولَةَ وَ الْمَقَالَةُ: (ق.و.ل) مَصْدَرٌ: قَالَ يَقُولُ الْقَوْلَ، الْقِطْعَةُ مِنَ الْكِتَابِ، وَبَحْثٌ يُنْشَرُ فِي جَرِيدَةٍ، أَوْ مَجَلَةٍ، أَوْ مَقَالَةٍ سِيَاسِيَةٍ» (جبران مسعود، 1992، ص 758)

وإنَّ من دلالات المقال اللغوية نذكر: القول والكلام، فالمقال هو كلام يُكتب لينشر في جريدة أو صحيفة، وأيضاً ورد معنى المقال من «قَائِلٌ: مفرد جمع، قائلون وقالة، وقِيَالٌ وقِيلٌ، مؤ قَائِلَةٌ، جمع مؤنث: قَائِلَاتٌ، وقُولُو قُيْلٌ: اسم فاعل من قال». (أحمد مختار عمر، 1429هـ/2008م، ص 1886)

ومنه فمعنى المقال لغة هو عبارة عن كلام مكتوب يُنشر في جريدة، وتتعدد مواضيع المقال حسب غاية كاتبها، ويسمى المقال باسم موضوعه، فهناك مقال سياسي أو اجتماعي أو ديني أو أدبي أو اقتصادي... الخ، ومنه فالمقال هو من أبرز الفنون الأدبية الكتابية الحديثة.

ب- مفهوم المقال اصطلاحاً :

يُعرف مصطلح المقالة في المجال الأدبي بأنه «تأليف أدبي قصير يدور حول موضوع محدد أو فكرة رئيسية، ويكون نثرًا في المعتاد، ويغلب عليه الطابع الفكري أو التفسيري». (إبراهيم فتحي، 1986، ص 340) تعد الفكرة من العناصر الأساسية في كتابة المقال، ويتوجب حضورها مع الأسلوب التحليلي الدقيق، الذي يوظفه الكاتب في معالجة قضية اجتماعية أو سياسية أو أدبية، ويشير مصطلح المقال - في الغالب - إلى مادة إخبارية مكتوبة وليست شفوية.

ج- مفهوم مصطلح المقال الأدبية: وأما مفهوم مصطلح المقال الأدبية فهو يُطلق على «قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع، وتُكتب بطريقة عفوية سريعة خيالية من الكلفة والرهق وشرطها الأول أن تكون تعبيراً صادقاً عن شخصية الكاتب، وهذا التعريف ينطبق على المقال بمعناها الفني الضيق». (محمد يوسف نجم: فن المقال، 1997، ص 76)

إن المقال الأدبية هي نص نثري محدود يتناول كاتبها موضوعاً من مواضيع الحياة والمجتمع، ويقوم بمعالجته بطريقة فنية يستعمل فيها أساليب الصناعة الأدبية من رموز وخيال وصور، وأيضاً يتناول موضوعاً واحد على وجه التحديد، وكما أننا نجد «أن المقالة الأدبية شيء يصنعه الكاتب بنفسه، والعبرة ليست بالموضوع، بل العبرة بسحر الشخصية» (عبد العزيز شرف، 2000، ص21) تظهر في المقالة شخصية كاتبها، وخلفيته الإيديولوجية، ويكون هدف كاتب المقال هو إبراز شخصيته ومواقفه من خلال أسلوبه.

3- أشكال المقال والتمييز بينها :

ظهرت في عصرنا الحديث أنواع عديدة للمقال، وكل نوع منها له خصائص تميزه عن بقية الأنواع الأخرى، وكانت بدايات المقال عند العرب مع المقال الأدبي ثم تطور إلى المقال الصحفي، وأكد النقاد على وجود فرق بين المقالين:

1.3 الفرق بين المقالين الأدبي والصحفي :

في البداية نفرق بين نوعين من المقال الأدبي والصحفي بالاستناد إلى كلام الجاحظ «وكان الجاحظ أول من نادى به في نقد الأدب العربي، وهو مذهب الصناعة والافتتان في الصياغة، ونستند إليه اليوم في التمييز بين المقال الأدبي والمقال الصحفي، فالنظرة إلى المقال الأدبي تتوجه نحو آثار الصنعة من جودة التشبيه، وحسن الاستعارة في حين يغدو المقال الصحفي مقالاً وظيفياً، ويختلف عن فن المقال الأدبي اختلافاً جوهرياً من حيث الوظيفة والأسلوب، فمن الثابت أن المقال الأدبي يهدف إلى أغراض جمالية» (المرجع نفسه، ص23) ووفقاً لتصور الجاحظ من السهل التمييز بين المقالين الأدبي والصحفي، فيكون توظيف المقال الأدبي للسّمات الفنية والجمالية، ومنها الصور البلاغية، ويبرع كاتبه في الصنعة الأدبية، ولكن في المقال الصحفي هدف كاتبه فيه تحقيق الغايات التربوية بعيداً عن النظرة الجمالية وهدفه معالجة ظاهرة بأسلوب تتجلى فيه النظرة المنطقية «على أن التمييز بين المقال الأدبي والمقال الصحفي تأسيساً على الموضوع لا يكفي لتحديد ماهية كل فن منهما إذ المعاني كما قال الجاحظ قديماً على قارعة الطريق إن قيمة البيان في رأي الجاحظ إنما ترجع إلى إقامة الوزن، وتمييز اللفظ وسهولة المخرج، وإلى صحة الطبع وجودة السبك؛ لأن الأدب أو الشعر صناعة وضرب من الصيغ، وجنس من التصوير، وأما المعاني فإنها في نظر الجاحظ مطروحة في الطريق يعرفها العربي والعجمي والبدوي والقروي». (المرجع نفسه، ص23)

ظهر الفرق بين المقالين الأدبي والصحفي في كيفية تناول الموضوع المعالج، وتأسيساً على كلام الجاحظ نجد أن أبرز فرق بين المقالين الأدبي والصحفي تمثل في طريقة عرض المواضيع في كل منهما وأما المادة الإخبارية فهي عنصر مشترك لا يقع فيه التفاضل بين الكتاب.

2.3 الفرق بين المقالين الافتتاحي والعادي :

توجد فروق جهرية بين المقالين الافتتاحي والعادي في مجال الكتابة الصحافية «فيتميز المقال الافتتاحي عن المقال العادي من ناحية التفكير ملياً في موضوع المقال الافتتاحي، وتفحصه وتمحصه والثبات على رأي واحد فيه، وإبراز الإحساس بالكيان والذات والكرامة إلى جانب طابع التضلع». (أحمد المغازي، 1984، ص223-224)

تميز المقال الافتتاحي عن المقالات العادية في التفكير العميق في الموضوع، ومحاورة رأي ثابت واحد فيه وإظهار براعة كاتبه.

4- إرهاصات البلاغة التواصلية في التراث العربي:

ظهرت معالم التواصل في البلاغة العربية، وستعرض للبلاغة التواصلية عند الجاحظ وابن وهب والعسكري.

1.4 البلاغة التواصلية عند ابن وهب :

لقد وجدت إرهابات للكتابة الصحفية في البلاغة عند ابن وهب «ولعل دراستنا في البرهان تثبت أنها كانت أول دراسة علمية للاتصال وألوانه وفنون تحريره، ففيه دراسة للمنظوم والمنثور والخطابة والترسل وأدب الجدل وأدب الحديث، وفيه دراسة لخصائص الرسالة الاتصالية.. ولقد تميز البرهان بدراسة الوسيلة أو قناة الاتصال من حيث ارتباطها بالرسالة حين تحدث عن البيان باللسان و"البيان بالكتاب" وبذلك يكون قد أجمل الحديث عن الاتصال». (محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف، 1980م، ص 37).

يعد كتاب البرهان لابن وهب أهم كتاب تناول مسائل التواصل، وتعرض للحديث عن عناصر الاتصال بصفة عامة، وذكر ابن وهب وظيفتها والعلاقة التي جمعت بينها.

2.4 البلاغة التواصلية عند الجاحظ :

تحدث الجاحظ عن الوظيفة التواصلية للكلام في كتابه البيان والتبيين، وتداول مصطلح الإبلاغ «واستعمل هذا المصدر "الإبلاغ" في كتابه البيان والتبيين أربع مرات، ودار استعماله على معنيين: أحدهما لغوي معجمي لا يتجاوز مجرد نقل الحديث أو الخبر.. وثانيهما فني لساني يفيد عملية إيصال الرسالة اللغوية إلى متقبلها مع ما يصاحبها من مميزات نوعية تطبع بنيتها التعبيرية بطابع التركيب الفني».

(عبد السلام المسدي، 1993، ص 125) حدد الجاحظ مفهوم الإبلاغ بأنه عملية توصيل الرسالة اللغوية إلى متلقيها بطريقة فنية، وورد مصطلح الإبلاغ كمرادف لمصطلحي الحديث والخبر عند الجاحظ، ويُعد كتاب البيان والتبيين للجاحظ أهم كتاب تناول مسائل التواصل.

5- معالم المقالات الصحفية في كتابات الجاحظ :

برزت أنواع عديدة للمقال الصحفي في كتابات الجاحظ الأدبية يمكن أن نوجزها فيما يلي :

1.5 تجليات المقال الصحفي العام في كتابات الجاحظ :

ظهر نوع المقال الصحفي العام في كتابات الجاحظ « وإن هذا النمط الكتابي الجاحظي، وبصرف النظر عن المسميات والأطر التحريرية الجديدة، ومتطلبات الصحافة الحديثة، وقد اقترب كثيراً من ذلك، الذي أطلقنا عليه تعبير "المقال الصحفي العام" الذي يعد الآن من أبرز أنواع المقالات الصحفية وأكثرها انتشاراً وسيطرة على الصفحات يكتبها محررون وكتاب وأدباء وعلماء». (محمود أدهم، 2007، ص 161) ظهر ما يُعرف بالمقال الصحفي العام في أدب الجاحظ، ركزت فيه على اهتمامات عديدة من الحياة العامة للناس .

2.5 حضور المقال التحليلي في كتابات الجاحظ:

كتب الجاحظ فيما يُعرف في العصر الحديث بالمقال الأدبي التحليلي «وإن المقالات التحليلية هي تلك النوعية من المقالات الصحفية

الحديثة، ولعله مما يذكرنا بهذه الصلة بين بعض الكتابات الجاحظية، وأمثلة هذه المقال ما يقوله أستاذة في الفن الصحفي عن معروفة

الصحافة العربية بها». (المرجع نفسه، ص 163)

يعد المقال التحليلي نوع من أنواع الكتابة الصحفية عند الجاحظ، وهو مختلف عن المقال الصحفي العام من حيث التعمق في التحليل .

3.5 مظاهر المقال النقدي الصحفي في كتابات الجاحظ :

امتلك الجاحظ عقلية تحليلية ونقدية، وهو ماجعله بارعاً في تحليل الظواهر الاجتماعية» وإن من يقرأ التراث الجاحظي ليتوقف كثيراً عند أكثر من جانب من جوانبه لاسيما في كتابه الأشهر "البيان والتبيين" وفي عدد آخر من رسائله وكتبه، حيث يجد أنها بدورها تمثل سلاسل منتظمة أو غير منتظمة من مقالات نقدية تناولت كافة هذا النتاج الأدبي الموجود في عصره والتي تميزت ومما يقر بها هنا من مقالات النقد الصحفي، وبشدة بهذه الأمور: *أنها جمعت بين المعايير العديدة، التي كان يطبقها النقاد.

*أنها عكست ثقافة لغوية وأدبية عامة، وليست متخصصة فقط، كتخصص الناقد اللغوي مثلاً.

*أنها عكست حساً صحفياً كبيراً في اختيار مادة النقد، وموضوعات هذه التنازلات من المعين الأدبي قديمه ومعاصره، وحيث كانت في معظمها من الموضوعات النقدية الساخنة، والتي تحد قبولاً جماهيرياً». (المرجع نفسه، ص168)

ظهرت سمات التنوع في مقالات الجاحظ في الموضوعات والطرق والأساليب النقدية، وبما يؤكد جانب نقده الصحفي، وإن أغلب مقالاته النقدية كانت تتجه الاتجاه التطبيقي العام، الذي يعني بالحكم على المادة نفسها ومالها، وما عليها على نحو ما يفعل نقاد الصحف الآن عند ظهور الإصدارات الجديدة، والجاحظ في كتابه البيان والتبيين أيضاً كان من استخدام تعبير "البلاغة" بمعناها الدقيق -كما يقول شوقي ضيف- وقد انعكست نظرته هذه على ما تناوله حتى يمكننا القول أنه ساهم في وضع معالم "المقال النقدي معاً"، ولعله قد عبّر عن ذلك في صياغة من الأدب الصحفي عندما قال في الكتاب السابق نفسه». (المرجع نفسه، ص169)

ظهرت معالم المقال النقدي الصحفي في كتابات الجاحظ، فقد وظف أساليب البلاغة في كتاباته الأدبية، وكان هدفه التبليغ، وتوفرت لديه عقلية نقدية تجلت في التصحيح والتنقيح والرد، وانتقاء الموضوعات الحساسة في المجتمع العباسي ومعالجتها.

4.5. مظاهر الكتابة الصحفية عند الجاحظ :

ظهرت ملامح الكتابة الصحفية في أدب الجاحظ في مجالات عديدة، ومن أبرزها الدينية والاجتماعية والأدبية والنقدية :

*طريقة اختيار الكلمات في التحرير الصحفي :

اهتم علماء البلاغة في التعبير بالتمييز بين الفنون الأدبية» ولقد ركزت الدراسات الصحفية الحديثة على ضرورة عدم المغالاة في الابتعاد والتعالي على قدرة القارئ على الاستيعاب، وأيضاً على عدم التقصير وتوجيههم وقيادتهم وتطويرهم بالدرجة المناسبة أو بالسرعة الواجبة الكافية ضرورة العودة إلى الأدب الرفيع، والعجز عن تحقيق السهولة الصحفية البليغة» (أحمد المغازي، 1984، ص219-220)

إن للأسلوب كاتب المقال الصحفي أهمية كبيرة، حيث يتوقف نجاح المقال وجودته على اختيار كاتبه للعبارات وطريقة صياغتها، ومن هنا تكرر فن صناعة الكلمة الواضحة والسهلة في التحرير الصحفي الحديث» (وأما من ناحية الأسلوب أو اللغة التي يكتب بها الحديث الصحفي ينبغي أن ينطبق عليها قاعدة أو مصطلح "السهل الممتنع" الذي يفهمه الناس، وأن تراعى فيها قواعد اللغة التي نعبر عنها في مصطلحنا الإعلامي أو الصحفي باللغة الثالثة (العلمية)». (غازي زين عوض الله، 1996، ص73)

يعد الوضوح أحد معايير الكتابة الأدبية عند الجاحظ، واعتماد الجاحظ على طريقة الوضوح لغاية تحقيق استراتيجية الفهم والإفهام» وتأسيساً على هذا الفهم يذهب الجاحظ إلى القول بأنه "إن كان الخطيب متكلماً تجنب ألفاظ المتكلمين كما أنه إن عبر عن شيء من صناعة الكلام واصفاً أو مجيباً أو سائلاً كان أولى ألفاظ المتكلمين إذ كانوا لتلك العبارات أفهم، وإلى تلك الألفاظ أميل وإليها أحسن وبها أشغف، ولأن كبار المتكلمين ورؤساء

النظارين كانوا فوق أكثر الخطباء، وأبلغ من كثير من البلغاء، وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني ، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء». (محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف، 1980م، ص 36)
تحدث الجاحظ عن وجوب انتقاء الكاتب لألفاظه، واشترط أن تكون مناسبة لمعانيه، وهو مانادى به علماء البلاغة بمراعاة سياق الحال.

* منهج الجاحظ في إيراد الأخبار :

مما هو معلوم أنه للأخبار دور هام في تحرير المقال، وقد اهتم الجاحظ على غرار الأدباء بطريقة إيراد الأخبار.
* طريقة الاشتغال على المادة الخبرية عند الجاحظ :

يعد جمع الأخبار وتنقيحها من أساسيات العمل الصحفي، ولذلك نجد «أن الجاحظ كان جامعاً للأخبار من الطراز الأول، وضح ذلك من كتبه جميعاً، فلم يك يترك المناسبة دون ذكر ما يعرف من الأخبار الجديدة عنها وأنه عرف الأسس والقواعد الرئيسية، التي تقوم عليها الأخبار بل ووضع الرجل رسالة في ذلك أطلق عليها اسم "الأخبار وكيف تصح"». (محمود أدهم، 2007، ص 137)

اتبع الجاحظ طريقة واضحة في الكتابة اقتضت جمع أخبار عصره بنفسه، وعرضها بطريقة فريدة، وتقصى آخر المستجدات حول أخبار مجتمعه ، واختار الأخبار الجديدة التي لا علم بها ، وعمد الجاحظ للتنظير في هذا الجانب لحرصه على نزاهة نقل الأخبار وتدوينها .

6- تقنيات التحرير الأدبي عند الجاحظ :

تتوعدت أساليب الجاحظ في الكتابة الأدبية، وسنحاول ذكر بعضها فيما يلي:

1.6 أسلوب الفكاهة عند الجاحظ :

ظهر أسلوب الفكاهة في كتابات الجاحظ وبعض أخباره « وإن سمة الضحك أو الفكاهة أنها تبرز بأسلوب مزدوج ذي وجهين فهي تريك من طرف اللسان حلاوة من جهة، وهي بهذا تبدو هادئة، ومن جهة أخرى هي مؤلمة ومخزية؛ لأن غايتها الإصلاح، ولا يتم هذا الإصلاح إلا بنوع من التأديب يشعر معه، الذي نضحك منه بشيء من الامتهان». (علي عزيز صالح، 2010، ص 34)

لجأ الجاحظ إلى أسلوب الفكاهة في التحرير الأدبي أثناء تحريره لبعض الكتابات الاجتماعية، مثل: أخبار الحمقى والمغفلين، ومزج الجاحظ بين الفكاهة والتشخيص والتصوير الكاريكاتوري لإضفاء طابع المرح والتسلية على نقله لتلك الأخبار، وهي كلها أساليب أدبية.

2.6 توظيف تقنية التهكم والسخرية عند الجاحظ :

اعتمد الجاحظ على طريقة التهكم والسخرية في كتاباته «فسخرية الجاحظ من البخلاء ليست مظهرًا من ظاهر النزعة الفنية أو الروح النقدية في أدبه فحسب، بل هي طبيعته التي ركب فيها حب الضحك، والميل إلى نقد العيوب بابتسامة مرحة، وتهكم مريّر يعتمد التصوير الحسي أحياناً... فيبرزهم للناس في صورة كاريكاتورية مضحكة، وألفاظ ظاهرها المديح وباطنها هجاء واستهزاء، والجاحظ وإن كان يضحك من البخلاء، فهو يضحك عليهم لالهم، وفرق بين المعنيين». (محمد سعيد المحروقي ، 2010، ص 83)

مزج الجاحظ بين أسلوب النقد والسخرية، وكانت سخريته وسيلته لتمرير مواقفه، وعرض انتقاداته من السلوكات الاجتماعية السيئة في عصره العباسي، الذي انتشر في الانحلال الخلقي.

3.6 طريقة إيراد السخرية عند الجاحظ :

ذكر الجاحظ ساخراً من معتقدات علماء الطب في زمنه قائلاً: «"خبرني" ثمامة عن أمير المؤمنين "المأمون" أنه قال: "نجتثشوع بن

جبريل"و"سلمويه" و"ابن ماسويه": إن الذباب إذا ذلك به موضع لسعة الزنبور سكن فلسعني زنبور، فحككت على موضعه أكثر من عشرين ذبابة، فما سكن إلا في قدر زمانه، الذي كان يسكن فيه من غير علاج، فلم يبق في يدي منهم إلا أن يقولوا: كان هذا الزنبور حنقاً قاضياً، ولولا هذا العلاج لقتلك». (السيد عبد الحليم محمد حسين، 1397هـ/1988، ص 178)

نلاحظ أن الجاحظ مزج بين السخرية والمرح، وهدفه الإفادة والإمتاع في عرض هذا الخبر، وفي مجال الأخبار ذات المواضيع الغريبة والطريفة

ذكر الجاحظ الصبر على فقد الطعم في قوله: «ومن أعاجيبها أنها، وإن كانت موصوفة بالشرة والنهم وسرعة الإبلاغ، فلها في الصبر في أيام الشتاء مالبس للزهد، ثم هي بعد مما بصير بها الحال إلى أن تستغني عن الطعم». (الجاحظ، 1385هـ/1966م، ص 120)

ومن نماذج الأخبار الإنسانية نورد الخبر التالي حول علاقة الإنسان بالحيوان الأليف، وفي خبر "وفاء الكلب للإنسان" يروي السارد حكاية تاجر خرج بصحبة شقيقه، وجاره إلى أطراف المدينة في انتظار وصول تجارته، فأبى الكلب إلا أن يتبعه على الرغم من حرص صاحبه على منعه بكل الوسائل العنيفة، وبينما هو في الموضع، الذي قصده والكلب رابض في مكان قريب منه، تعرض له بعض الأعداء بالضرب حتى شارب على الهلاك، فرموا به في بئر وغطوه بالتراب، وبينما هرب من كل معه من الصحبة ظل الكلب يبذل كل مافي وسعه لإنقاذ حياته، وقد أمكنه الكشف عن رأسه وعادت إليه روحه حتى من حمله إلى أهله». (محمد مشبال، 2010، ص 43)

تضمن هذا الخبر على فائدة عظيمة، وهي خلق الوفاء والصدقة عند الكلب، وهو حيوان غير عاقل، والذي أصبح رمزاً للوفاء «وينطوي الخبر على فائدة تحمل على إنجاز فعل يقع خارج النص؛ إذ يتوجه إلى المتلقي للتأثير فيه عندما وحمله على إدانة القاضي بواسطة الضحك والتوقف على تعظيمه وإجلاله، إن هذه الوظيفة البلاغية الحجاجية ليست سوى نتيجة موقف تواصلية يتوخى فيه السارد الذم والسخرية». (المرجع نفسه، ص 44)

اعتمد الجاحظ على طريقة السماع من الرواة، وأظهر حرصه في انتقاء مادته الإخبارية، وتفنن في طريقة عرضها، ولقد وُفق في راويته للأخبار الهامة، وحرصه على تنوع أخباره من أدبية واجتماعية، ومنه كان الجاحظ أدبيًا إخباريًا ومؤرخًا صاحب نظرة دقيقة.

4.6 طريقة إيراد الخبر الاجتماعي عند الجاحظ :

أورد الجاحظ خبر «تمشى قوم إلى الأصمعي مع تاجر كان اشترى ثمرته لخسران كان ناله وسأله حسن النظر والحظيطة، فقال: الأصمعي: "أسمعتُم بالقسمة الضيزى؟ هي والله ما تُريدون شيخكم عليها اشترى مني على أن يكون الخسران عليّ والربح له هذا وأبيكم تجارة أبي العنيس اذهبوا فاشتروا عليّ طعام العراق على هذا الشرط، على أني والله ما أدري أصادق هو أم كاذب، وها هنا واحدة، وها هنا واحدة، وهي لكم دوني، والله ما مشيتم معه إلا وأنتم توجبون حقّه وتوجبون رفده، لو كنتم أوجب له مثل لقد كنت أغنيته عنكم، وأنا لأعرفه ولا يضربني بحقّ فهلما نتوزع هذه الفضلة بيننا بالسوية هذا حسنٌ ممن احتمل حقاً لا يجب عليه، فرضي من يجب ذلك عليه، فقاموا ولم يعودوا، فخرج إليه التاجر من حقه، وأيس مما قبله». (الجاحظ، 2007، ص 144)

نلاحظ بروز روح السخرية في الخبر، وظهرت فقرات الجاحظ موجزة وخالية من التكلف، وجمله متماسكة، وألفاظه وافقت معانيه، ومن الطرائف الأدبية كذلك ذكر الجاحظ في أخباره «قال أبو عبيدة: كان الرجل من بني أنف الناقة إذا قيل له: ممن الرجل قال: من بني فُريع، فما هو إلا أن قال الحُطيئة: قومٌ هم الأنف والأذنان غيرهم** ومن يُساوي بأنف الناقة الذنبا وصار الرجل منهم إذا قيل له: ممن أنت؟ قال: من بني أنف الناقة، وناسٌ

سلموا من الهجاء بالخمول والقلة، وكما سلمت غسانٌ وغيلانٌ من قبائل عمرو بن تميم». (الجاحظ 1418هـ/1998، ص38) نلاحظ أن الجاحظ اتبع طريقة خاصة في تحرير الخبر الاجتماعي تأسست على استراتيجية الوضوح، وروح الدعابة والمرح، ومزجها مع أسلوب السخرية والتهكم، وتبين أن طريقة عرض الخبر لها أهمية كبيرة في تلقيه لدى القراء.

7- تقنيات التحرير الصحفي عند الجاحظ :

وظف الجاحظ تقنيات عديدة في كتاباته الأدبية سنحاول التعرض لها فيما يلي:

1.7 أسلوب التحرير الصحفي عند الجاحظ:

ظهر أسلوب التحرير الصحفي عند الجاحظ من خلال وضوح التعبير الأدبي لديه «وراح الجاحظ يبعد عن الرمز، ولم يستبد به الإغراق فيه قدر طاقته، فمادته كتاب مفتوح، ويبدو أنه فهم أن خير الأساليب هو ما يوصل إلى المعنى من أقصر الطرق وأسهلها أيضاً وأقربها إلى الأفهام والأسماع، فكان له ما أراد، وأوليس ذلك كله من معالم أسلوب صحافة اليوم؟ فكان الجاحظ يعتمد إلى الفهم وجعله هدفاً له، فابتعد عن الغموض، واستخدام الرمز والإغراق في المعاني البعيدة، ووظف الإيجاز وكل هذا نجده متداولاً في الصحافة الحديثة». (محمود أدهم، 2007، ص211-212) سلك الجاحظ طريقة الوضوح في التعبير؛ لأن غايته الفهم كما كرس ذلك في تنظيره، وجعل من الإفهام مشروعاً فكرياً ظهر بوضوح في كتاباته الأدبية «وأما عن المستويات الفرعية للأسلوب الصحفي نفسه فإننا نقول أن الرجل فهمها تماماً ضمن فهمه أن لكل مقام مقال، ولكل موضوع تفكيره الخاص وتعبيره الخاص أيضاً، وإذا كان رجال اللغة والأدب يقولون عن ذلك أنه استخدمها لأنها "بنت لحظتها" أو "مراعاة لمقتضى الحال" فإننا نقول هنا، أن ذلك مما يساعد على الاقتراب بين أسلوبه من جانب، وبين الأسلوب الصحفي من جانب آخر». (المرجع نفسه، ص212)

إن تمثل الجاحظ لمبدأ مراعاة مقتضى الحال أو مراعاة السياق الكلامي جعله قريباً من الطريقة الصحفية الحديثة في مجال الكتابة الأدبية، فالمقال موجه في الغالب إلى عامة الناس، ومراعاة مقاماتهم في الكلام يعد أمراً ضرورياً عند الكاتب لضمان التواصل مع المتلقين.

2.7 شخصية الجاحظ الأدبية والصحفية :

غلب الطابع الصحفي على كتابات الجاحظ الأدبية، وكان يميل إلى النزعة الانتقادية مع توظيفه الذوق البلاغي «وهناك بعضاً لمعالم والعناصر المشتركة بين المستويين والأسلوبين معاً، وهي تتصل أولاً بعدد من معالم الواقعية، ومواطن الجمال الملائمة واستخدام التعبير المناسب للمادة المناسبة، وهو المثلث الذي اعتقد أن الجاحظ قد نفذ من بينه بكتابته إلى الاقتراب من جانب الأسلوب الصحفي» (المرجع نفسه، ص207) جمع الجاحظ في أسلوبه بين واقعية الأخبار وطريقة عرضها المتميزة، فلذلك أثر في قراء عصره، وبقي أثره في العصور من بعده، وجمع بين جمال الصياغة اللفظية وشرف معانيها، وبلاغة الأسلوب مع وضوح المقصد.

3.7 طرق إيراد الخبر في كتاب البيان والتبيين :

وردت نماذج عديدة في كتب الجاحظ ظهرت فيها معالم الكتابة لصحفية، وسنتوقف عند بعضها ذكر الجاحظ خبر وجود اللثة عند الخطيب واصل بن عطاء قائلاً: «ولما علم واصل أنه ألتغ فاحش اللثغ، وأن مخرج ذلك منه شنيع، وأنه إذ كان داعية مقالةٍ ورئيس نحلة، وأنه يريد الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل.. وعلم واصل أنه ليس معه ما ينوب عن البيان التام، واللسان المتمكن والقوة المتصرفة، ولولا استفاضة هذا الخبر وظهوره هذه الحال حتى صار لغرابته مثلاً، ولطرافته معلماً، لما استجزنا الإقرار به، والتأكيد له».

(الجاحظ: البيان والتبيين، 1418هـ/1998، ج2، ص14-15)

ظهرت دقة الصياغة اللفظية في تعبير الجاحظ عن خبر عيوب الإلقاء عند واصل بن عطاء مع توظيفه الأسلوب البلاغي في تحريره لهذا الخير نحو (داعية مقالة.. ورئيس نحلة.. صار لغرابته مثلاً، ولطرافته معلماً).

4.7 خصائص الكتابة الصحفية عند الجاحظ :

كان هدف الجاحظ إصلاح مجتمعه العباسي من خلال أسلوبه الانتقادي، ونجده استخدم أسلوب الفكاهة للترويح عن المتلقين ووظف كذلك أسلوب السخرية، الذي كان رائجاً بين كتاب العصر العباسي، ومن خصائص أسلوب الجاحظ نذكر مايلي: «

صحة اللغة وسلامتها نحوًا -لوصف الحي الواقعي -الاختيار الصحيح والكامل لنوعية اللغة ومستوى الأسلوب -توصل الجاحظ إلى نوع من المعرفة والإدراك ليس لمستويات التعبير الأدبي فقط، وإنما لمستويات التعبير الموضوعي أو الاجتماعي أو العملي تلك، التي تساوي عندنا، وتعبر عن مستويات التعبير الصحفي نفسها .

إن كتابات الجاحظ الإخبارية غير اللغوية غير التاريخية غير الفكاهية، لكل منها ملامحها المتصلة بمادتها دون أن تترك تمامًا "الساحة الجاحظية" وإنما كانت ترتبط بالخصائص عامة أو يشدها الرجل إليها بحبل متين من الخصائص نفسها». (محمود أدهم، 2007، ص210). نلاحظ بأن الجاحظ أسس لنوع من الكتابات الصحفية الاجتماعية في عصره، وقامت بلاغته النثرية الاجتماعية على مزيد من الوعي بأساليب الكتابة الأدبية مع التعمق في التحليل .

5.7 طريقة التحرير الصحفي عند جاحظ:

إن التعبير الحرفي عند جاحظ هو قريب من التعبير اللفظي الصحفي من عدة جوانب، وسنقوم بدراسة الصياغة اللفظية الصحفية في كتابات جاحظ على مستويات عديدة، ومنها:

• طبيعة الحروف والكلمات المستعملة في كتابات الجاحظ:

أولى الجاحظ عناية كبيرة بالحروف، وعلى مستوى الحروف نقوم «باستقراء عدد من كتابات الجاحظ فإننا نجد أن الغالب على

حروف كلمات الجاحظ وألفاظه كثيرًا ما يقترب به من هذا الأسلوب الصحفي، ومن بينها نذكر: -أن حروفه كانت تتميز بتعبيرها الصادق عن المعنى، الذي تشير إليه الكلمة التي تتكون منها.

-أن أثرها النفسي كان يعمل عمله، وكان من السهل على القارئ الفاهم والمتمكن أن يضع يده عليه.

-أن مجمل حروف كلماته في معظمها كان يقع بين الثلاثة حروف والخمسة حروف، وهي النسبة الأنموذجية لعدد حروف الكلمة "الاتصالية" السليمة التي تسلسل إلى الأسماع والأفهام في سهولة ويسر، بل وكلما كان عدد حروفها أقل كان ذلك أقرب إلى فهمها.

-أنه كان يحافظ على الجرس الموسيقي للحرف دون إسراف

-وبالمثل فقد خلت الكلمات والجملة كثيرًا من الحروف المتضادة التي تشق على القارئ والمستمع.

وأما عن العنصر الثاني وتمثله هنا الكلمات أو الألفاظ تلك التي تبنى على الحروف بحيث تمثل كل كلمة "مركبًا" من عدد من الحروف، فإننا نلاحظ على " اللفظ الجاحظي " اقترابه من " اللفظ الصحفي في وجوه كثيرة». (المرجع نفسه، ص212-213-214)

اهتم الجاحظ باختيار الحرف الذي كتب به، فكانت الحروف عنده كلها فصيحة، والحروف التي استعملها الجاحظ مناسبة للتعبير الأدبي من حيث سلاستها وفصاحتها، ومن خصائص الكتابة الصحفية عند جاحظ طريقة التحرير الأدبي التي اعتمد فيها على السلاسة والوضوح «وذوق الجاحظ الأدبي إلى فلسفة أسلوبية خاصة متميزة أساسها: الكلمة وحسن اختيارها، واللفظة ووضعها في مواضعها، فقد كان ذوقه شديد المعرفة موقع الكلمة في نفس القارئ». (محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف 1980م، ص64)

ظهر تميّز أسلوب الجاحظ في الكتابة الأدبية بجمعه بين بلاغة الأسلوب وعمق المضمون ونثره الفني، فالفكرة التي يتناولها الجاحظ

يعتمد إلى تحليلها، وغالبًا مانجده يخوض في قضايا مجتمعه بأسلوب واقعي، ولقد تنوعت أساليب التحرير الصحفي في كتابات الجاحظ «والحق أن استقراء التراث الجاحظي ليضع يدنا على حقيقة تقول أن عباراته أو جملة قد تميزت بعدد كبير من هذه الخصائص الصحفية وكان من أبرزها ونحن نتحدث هنا عن بلاغة صحفية إذا صح التعبير - أقول كان أبرزها خمسًا على وجه التحديد ألا وهي :

- قصر العبارة وإيجازها خاصة بالنسبة لمادته التي اقتربت من الصحافة .
- جاءت عبارته قوية الحبك شديدة التماسك لايسهل اختراقها ،ولا تسقط منها كلمة ما .
- الوضوح الكامل للكلمات أو الحروف، ومن ثم للتركيب العباري كله .
- الخلو من الزخرف الصناعي قدر الاستطاعة ، وعدم لحرص عليه ، وتركه يأتي عفواً الخاطر .
- العناية بأن تكون كل عبارة واحدة تقدم معنى مفيداً يثير القارئ ، ويشجعه على المتابعة .» (المرجع نفسه ص 64-67)

من خلال تلك الخصائص نلاحظ امتثال الجاحظ للبلاغة العربية أثناء التحرير الأدبي، وأنقن فن صناعة الكلمة، وتميز في بلاغته الصحفية «وليسست هذه فقط هي ماتميزت به العبارة الجاحظية من خصائص ، فقد كانت هناك المعالم الأخرى ، التي تأخذ بنصيب من البلاغة بمعناه الأدبي وبمعناه الصحفي معاً، ومن بينها على سبيل حسن الربط بين العبارة والعبارة الأخرى، والترتيب المنطقي الجيد للعبارات في مجموعها، والتقديم والتأخر للأسماء والأفعال بما يعمل على تقوية العبارة، وعدم التكلف أو التعقيد، وطرافة التعبير واستخدامها الذكي.... وهي ما لا يقتصر معرفته على الأدباء فقط وإنما الأديب والصحفي معاً». (محمود أدهم، 2007 ص 67)

اتصفت عبارات الجاحظ بأنها قصيرة وموجزة ومتماسكة وخالية من الصنعة اللفظية، وهو مانجده معتمداً في أسلوب الصحافة الحديثة، واستخدم عنصر الإثارة، مع الابتعاد عن التكلف والتعقيد، وإلى جانب ذلك سعى إلى التعمق في المعنى وتقويته.

و- طبيعة الفقرات المستعملة في كتابات الجاحظ :

بالنظر والبحث في فقرات الجاحظ في الكتابة الأدبية الصحفية «حيث يمكننا أن نضع أيدينا على أكثر من خصيصة واحدة للفقرات الجاحظية نفترّب كثيراً من تلك، التي تشترط في "الفقرات الصحفية" ومن بينها:

- الطول المناسب للفقرة المناسبة للمادة المناسبة ، فهي تختلف من مادته خبرية إلى قصصية إلى مقالية -كون كل فقرة عبارة عن وحدة واحدة متماسكة وقائمة بذاتها
- كون كل فقرة مما تتضمن فكرة واحدة رئيسية أو فرعية تتناول من زاوية جديدة أو مختلفة
- كون فقرات البداية عنده أشد قصراً وتماسكاً من فقرات الوسط في أغلب الأحوال
- وضوح الفقرة في مجموعها ، وبساطتها وسهولة توجيهها إلى الأذهان
- وجود نوع من التسلسل المنطقي للأفكار الرئيسية والفرعية، فالجاحظ كان يعنى بانتخاب ألفاظه التي تؤدي الغرض ، وتوصل إلى المعنى وتكون أكثر ملاءمة له واتفاقاً مع الفهم والذوق ومع صدق التعبير وواقعته ودقته». (المرجع نفسه ، ص 218-219)

اعتمد الجاحظ طريقة التناسب بين الفقرات من حيث شكلها ومضمونها وحجمها، وسهولة الفكرة عند الجاحظ وبساطتها في الطرح والتنويع بين الأفكار والمضامين عن طريق استخدام أسلوب الاستطراد، ومع تماسك فقراته رغم كونها وحدات مستقلة في الفكرة والمضمون ووضوح الفقرة في مجموعها ، وبساطتها وسهولة توجيهها إلى الأذهان، واتباع الجاحظ طريقة التدرج المنطقي في عرض الأفكار ، وهو ما يتوافق مع منهجه العقلي

في التفكير والتحليل، وحسن توظيف الجاحظ للكلمات المناسبة المؤدية لإيصال الفكرة». (المرجع نفسه، ص220)

حققت فقرات الجاحظ الشروط البلاغية المطلوبة من حيث الشكل والمضمون، ولاحظنا السلاسة في التعبير الأدبي «وقد يضطر المحرر الفني أو الناقد الإعلامي إلى الاختصار في مقاله، فليزِم تحديد أولويات هذا الإيجاز». (أحمد المغازي، 1984، ص223)

إن لنظام الفقرات أهمية كبيرة في التحرير الصحفي، وسعى الجاحظ إلى المناسبة بين فقراته المستعملة، وعرض المادة الاخبارية والإعلامية، فعمد إلى الاختزال والإيجاز في تعابيره «والجاحظ في هذا الجانب الصحفي من جوانبه عرف ككل صحفي آخر، كيف يبحث عما يريد أن يقول، وكيف يختاره من بين ماتجمع لديه من محصوله؟ ولو عاش الجاحظ بين ظهرانينا، لكان أحد الأفاضل من كتاب عصرنا، ولسعت من ورائه نوعيات كثيرة من الصحف والمجلات، ولأحتل بين محرريها مكاناً بارزاً مرموقاً، وما كان أجدره بذلك، وهو الأديب الصحفي معاً». (محمود أدهم، 2007، ص221-223)

ظهرت معالم الكتابة الصحفية في كتابات الجاحظ خصوصاً في كتاباته النثرية الاجتماعية ورسائله؛ لأنها متلك عقيلة المحرر الصحفي.

8- معالم الحديث الصحفي عند الجاحظ:

ظهر الحس الصحفي عند الجاحظ في طريقة عرضه للأخبار «فهناك أكثر من وجه من وجوه الشبه بين بعض كتابات الجاحظ، لاسيما بعض رسائله، وأجزاء كتبه الكبيرة، وكتبه في مجموعها، فإن هذه الصلة بين المادة التعريفية بالصحفية أو المجلة لم تكن قوية. وصحيح أن الجاحظ كان يستخدم هذا الأسلوب نفسه، وربما بأكثر من بعضهم، وقد أشرنا إلى ذلك في حينه، لكن اعتماده على هذه المصادر المكتبية أو الوثائقية لم يكن دائماً ولا كاملاً، وإنما كان يصحبه في أوقات كثيرة اعتماده على عنصر السماع خاصة في تلك الموارد التي تقترب من الطابع الصحفي لا الأدبي من ذات الطابع الحالي الإخباري، وما يتصل به من معلومات مختلفة». (المرجع نفسه، ص136-139)

أهم وسيلة اعتمد عليها الجاحظ في إيراد الأخبار كانت السماع، وهو أسلوب شائع في عصره لغلبة الثقافة الشفاهية على التراث الأدبي القديم، واعتمد في تحريره على أسلوب البحث والتحرير.

1.8 فن التحقيق الصحفي في كتابات الجاحظ:

من الطرق التي اعتمدها عليها سماع الأخبار «والجاحظ لم يستخدم أسلوب المقابلات، ولم يجلس إلى مصادره ليناقشهم.. وإنما نجح في أن يستخدم السؤال والجواب والأخذ والرد والمناقشة والمحاورة حيث ينبغي استخدامها ليتجمع له منها بالإضافة إلى بعض أساليب رؤيته الخاصة للناس... وتجمع له من وراء ذلك أكثر من مادته تحريرية أخرى، ذات صلة وثيقة بتلك الفنون والأطر والأنماط التي تعرفها

صفحات جرائدنا ومجلاتنا، وكان من أبرزها ما يمكن أن يعتبر من جذور أو مقدمات فن "التحقيق الصحفي"» (المرجع نفسه، ص143)

ظهرت براعة الجاحظ في جمع الأخبار وتمحيصها، وتوظيف تقنيات المناقشة والمحاورة والمناظرة، وكذلك مكنه من جمع المعلومات، والمحاورة هي من التقنيات الحديثة المعمول بها في الصحافة الحديثة ونلاحظ أن أسلوب الجاحظ تقارب مع التحقيق الصحفي الحديث.

2.8 مقدمات التحقيق الصحفي عند الجاحظ :

بعد أن تناولنا هذا الجانب أيضاً في أكثر من كتاب سابق لنا، ولا يبقى بعد ذلك إلا أن نحيل القارئ العام أو الدارس إلى عدد من كتاباته الاجتماعية، وتلك التي تناولت صور ومشاهد عصره ومشكلاته». (المرجع نفسه، ص152)

ظهر فن المقال الصحفي في كتابات الجاحظ، وبصرف النظر عن جذور بعض المواد التحريرية السابقة، التيكان الطابع الإنتاجي الجاحظي فيها يغلب عليه طابع الجمع والنقل، وما يسبقهما من رصد، وإثبات ثم تحرير فإن الطابع الإنتاجي الجاحظي هنا يختلف كثيراً إذ هو طابع ذاتي تعبيرى كامل، وأكثر المواد الجاحظية التي اقتربت من هذه المقدمات والطلانغ المقالة الصحفية كانت كذلك مما استند إلى فكرة حصل عليها من وراء هذا الحضور الذهني الأدبي والصحفي معاً، وكذا من خلال معاشته للأحداث وعلاقاته الاجتماعية واتصالاته وقراءاته كما جاءت كذلك تحمل طابعه في التفكير وأسلوبه في التعبير». (المرجع نفسه، ص153-155)

اتباع الجاحظ طريقة رصد الأخبار وجمعها ونقلها وعرضها المشوق لها في التحرير الأدبي، ومما لا شك فيه أن ذاتية الجاحظ تبرز أثناء تحليله ومعاشته للأحداث مجتمعه جعلته أكثر قدرة على فهمها ومعالجتها بطريقة قريبة من المعالجة الصحفية الحالية» وكما يقول الجاحظ أن المعاني إذا كُسيَت الألفاظ الكريمة، وأكسبت الأوصاف الرفيعة تحولت في عيون مقادير صورها... وأما المقال الصحفي فإنه يهدف إلى التعبير عن أمور اجتماعية وأفكار عملية بغية نقديها أو تحييدها، وكان الوظيفة الاجتماعية الفكرية في المقال الصحفي تتقدم على أيه ناحية أخرى كالمتعة الفينة». (عبد العزيز شرف، 2000، ص24)

قدّم محمد العمري لكتابي الجاحظ البيان والتبيين والحيوان «تفسيراً حيث يرى أنهما ينطويان على مشروع متكامل لصياغة مفهوم البيان بمعناه السياسي الاجتماعي في الكتاب الأول، ومعناه المعرفي في الكتاب الثاني» (محمد مشبال، 2010، ص114)

مما سبق لاحظنا شمولية التفكير النقدي عند الجاحظ، الذي أسس لتوجه النقد الاجتماعي في كتاباته، وفي سياق متصل يرى شوقي ضيف «أن الجاحظ نقل الأدب من طور بلاغة الأسلوب إلى طور بلاغة الحياة، لم يعد التعبير الأدبي مع الجاحظ مفتوحاً بالكلمة بقدر ما أصبح مأخوذاً بتصوير الطبيعة والإنسان والمجتمع». (المرجع نفسه، ص161)

تناول الجاحظ في كتاباته هموم الإنسان، وعالجها وفق طريقة عصره، عن طريق عرض الأفكار ونقدها، وهو توجه الصحافة الحديثة «فأساس نظرية الإعلام وتطبيقاتها في وسائل الاتصال المختلفة يعتمد من الوجهة العملية على ضرورة حدوث تماثل واتفاق على مضامين الكلمات وأساليب التحرير، التي يفسرها كل من المستقبل والمرسل في عملية الاتصال». (أحمد المغازي، 1984، ص215)

كشفنا في كتابات الجاحظ بعض تقنيات المقال الصحفي، وكان له أسلوب قريب مما تكتبه الصحافة الحديثة اليوم «فالتفسير الإعلامي يقوم على أساس من فهم طبيعة الأدب، وأنها تقوم في جوهرها على أساس اتصالي، فكما أن الإنسان ينقل أفكاره إلى الآخرين عن طريق الكلام، والاتصالات تمثل شتى الطرق التي تؤثر بها شخص في شخص آخر أو يتأثر بها وقد تكون هذه الطرق مباشرة وشخصية مثلما ينشد الشاعر العربي في سوق عكاظ مثلاً». (محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف، 1980، ص3-4)

وكان للجاحظ تصور خاص في صناعة الكلمة «وله باع طويل في صناعة الكلام، وأسلوب الكتابة ينفذ إلى القلوب، ويخترق الأفئدة ويناجي العواطف، ويمتلك المشاعر ويصل بقلمه المصقول، وذوق الجاحظ الأدبي إلى فلسفة أسلوبية خاصة متميزة أساسها: الكلمة وحسن اختيارها واللفظة ووضعها في مواضعها، فقد كان ذوقه

شديد المعرفة موقع الكلمة في نفس القارئ، وللجاحظ أسلوبه، وعباراته وألفاظه وصوره الخاصة به، وله شخصيته الواضحة في كتابه ونثره الفني». (المرجع نفسه، ص 63-64-67)

ربط الجاحظ بين الأخبار والمواقف التواصلية، ويعد الخبر مادة أساسية للمقال الصحفي «وإن الفصل بين الخبر وتفسيره، والرأي المبني على الخبر أمر ضروري، ذلك أن الخبر إنما هو الوقائع التي حدثت بالفعل، وتفسير الخبر جزء هام من أجزائه، وأما الرأي المبني على الخبر؛ فهو المراد بالتعليق الصحفي». (عبد العزيز شرف 2000، ص 50) إنَّ الخبر هو واقعة حدثت بالفعل، ويكتسي عرض الخبر أهمية كبيرة في التواصل والتبليغ، ويسمى نقد الخبر ومحاولة فهمه وتأويله بالتعليق الصحفي، ونجد أن فن الخبر في الثقافة الحديثة ظهر كمقوم من مقومات السهولة الصحفية «وتأكد ظهور الخبر وأهميته بل وأصبح الخبر جزءاً من عناصر المادة الصحفية السهلة والشيقة في نفس الوقت إلى جانب فن الحصول عليه، وتركيبه والحاجة إليه». (أحمد المغازي، 1984، ص 221)

أولى الجاحظ عناية كبيرة بطرق إيراد الأخبار ماجعله يستحوذ على اهتمام القراء في عصره، والعصور التالية لعصره، وأصبح مجال الأخبار فناً ممتعاً ومسلماً «بمدونة الجاحظ السردية بالأخبار والنوادر، وإن كان نصيب النوادر منها أوفر لما عرف عنه من ميل واضح إلى أسلوب الهزل والسخرية، وأما الأخبار التي أوردتها عارية من الهزل فقد قامت على سمة "الغربة" المتعلقة». (محمد مشبال، 2010، ص 10)

احتل تدوين الأخبار مساحة هامة في كتابات الجاحظ، فالأخبار هي مادة هامة في التحرير الأدبي، وكانت أخباره متنوعة «وإن أكثر ألوان كتابات الجاحظ التي شهدت مثل هذا الأسلوب القريب من الأسلوب الصحفي كانت هي الكتابات الإخبارية والاجتماعية الواقعية والفكاهية والنقدية أولاً، وكانت هي الكتابات التاريخية ثانياً، وكانت الكتابات السياسية ثالثاً». (محمود أدهم، 2007، ص 209)

تحقق التناسب بين طبيعة مواضيع الجاحظ الاجتماعية والأدبية وبين الطريقة الصحفية، وقد أجاد الجاحظ عرض أخباره بطريقة اقتربت من طريقة الصحفي المحترف في عصرنا الحديث، ونستطيع تقسيم أخبار الجاحظ إلى قسمين أخبار هزلية غايتها الإمتاع، وأخبار أخرى جادة واقعية غايتها الإقناع.

ومنه ظهر التوجه الصحفي عند الجاحظ في بعض كتاباته الأدبية، وبرزت رؤية الجاحظ الصحفية من خلال معالجته للأخبار وتناوله لمواضع مختلفة ومعالجتها، وامتلك سردية خاصة به في عرض الأخبار وتصوير الأحداث.

9. الخاتمة:

مما تقدم لمسنا حضور بعض التقنيات الصحفية الحديثة في كتابات الجاحظ الأدبية فظهرت ملامح الكتابة الصحفية في أسلوبه، وقد

أسس الجاحظ بلاغة صحفية ظهرت من خلال اهتمامه بأدوات الكتابة والتبليغ والمواضيع المتناولة لديه، ومنه نصل إلى القول بأن الجاحظ اهتم بقضايا التواصل الحديثة، وركز على قضايا الفهم والإفهام والتبليغ وبهذا المفهوم فقد اهتم الجاحظ بالوظيفة التواصلية في نصوصه الأدبية إلى جانب الوظيفة الجمالية والفنية وتمثل جديد الجاحظ في ربطه قضايا بلاغية بعناصر التواصل، وتعامل مع المرسل (المبين) والمرسل إليه (المبين له) على قدر من المساواة، ومنه فلقد وُفق الجاحظ في التنظير الخطاب البلاغي التواصل، وكما وجدنا أن الجاحظ حقق شروط التواصل البياني من خلال نصوصه الأدبية، ومنه فالجاحظ هو عارض أخبار ممتاز، واقترح أهم توصية، وهي قراءة النصوص الأدبية القديمة وفق المناهج الحديثة، والاعتزاز بترائنا العربي، ومحاولة الكشف عن مواطن الخطاب الدثائي فيه.

المصادر و المراجع :

1. أدهم محمود (2007) أدب الجاحظ من زاوية صحفية ، مصر ، د.ط، وكالة الأهرام،
2. الجاحظ(أبو عثمان عمرو بن بحر)(1385هـ/1966م)الحيوان،تح:عبد السلام هارون،،مصر، ج4،شركة مصطفى،ط2
3. الجاحظ(أبو عثمان عمرو بن بحر)(1418هـ/1998)،البيان والتبيين،تح:عبد السلام هارون، مصر ،ط7،مكتبة الخانجي ،ج4.
4. الجاحظ(أبو عثمان عمرو بن بحر) (2007)،البخلاء، تحقيق: طه الحاجري، القاهرة- مصر،ط7، دار المعارف.
5. جبران مسعود (1992) الرائد معجم لغوي عصري، لبنان ،ط7،دار العلم للملايين.
6. خفاجي محمد عبد المنعم و شرف عبد العزيز (1980م)التفسير الإعلامي للأدب العربي، لبنان،ط1،دار الفكر العربي.
7. شرف عبد العزيز (2000) فن المقال الصحفي،،القاهرة-مصر، دار قباء للطباعة والنشر.
8. الصفدي ركان (2011)الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري،سوريا،الهيئة العامة للكتاب.
9. صالح علي عزيز ،(2010) الفكاهة في النثر العباسي، لبنان، ط1،دار الكتب العلمية.
10. عمر أحمد مختار(2008م)معجم اللغة العربية المعاصرة ،مصر، مج1،ط1،عالم الكتب.
11. عوض الله غازي زين (1996) الأسس الفنية للحديث الصحفي،مصر ،مطابع الهيئة المصرية العامة.
12. فتحي إبراهيم ،(1986) معجم المصطلحات الأدبية،تونس،ط1،المؤسسة العربية للناشرين المتحددين.
13. المغازي أحمد،(1984)التذوق الفني والفن الصحفي الحديث 1924-1952،مصر ،الهيئة المصرية العامة،مج3.
14. محمد حسين السيد عبد الحليم (1988)السخرية في أدب الجاحظ،ليبيا،ط1،دط، الدار الجماهيرية للنشر.
15. محمد يوسف نجم، 1997 ،فن المقال، لبنان ،ط1، دار صادر.
16. المحروقي محمد سعيد (2010)نماذج إنسانية في السرد العربي القديم، أبو ضبي- الإمارات العربية المتحدة، المكتبة الوطنية.
17. المسدي عبد السلام (1993) قراءات مع الشبابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون،الكويت ،ط4،دار سعاد الصباح.
18. مشبال محمد (2010)البلاغة والتصوير جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ،المغرب، دط،منشورات كلية الآداب.